

(التنبؤ بجودة الحياة من خلال خطر الهجرة غير الشرعية)

دراسة استرجاعية على بعض الدول الأوروبية)

د/ أبركان الصالح، جامعة خنشلة

د/ برغوتي توفيق،

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن أثر خطورة الهجرة غير الشرعية على جودة الحياة لخمس دول أوروبية (فرنسا، إيطاليا إسبانيا بريطانيا وألمانيا)، من خلال إمكانية التنبؤ بجودة الحياة مستقبلا. وقد جمعت البيانات من (البنك العالمي للمعلومات والبيانات حول مؤشرات جودة الحياة: مؤشر السلامة و الأمن، مؤشر الرعاية الصحية، نسبة الدخل الفردي، نسبة الاستهلاك) لسنة 2013، بالإضافة إلى استطلاع الرأي العام لسنة 2002 لتلك الدول حول خطورة الهجرة الغير شرعية في ثلاث أبعاد رئيسية. وقد استخدم برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS 19) وباستخدام أسلوب: ارتباط سبيرمان لحساب العلاقة بين خطر الهجرة غير الشرعية و مؤشرات جودة الحياة لمختلف الأسر في العالم، بالإضافة إلى تحليل الانحدار المتعدد المتدرج (stepwise) للتنبؤ بجودة الحياة من خلال استطلاع الرأي العام حول المهاجرين. وقد أسفرت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة سلبية قوية بين خطر المهاجرين على النظام العام ومؤشر السلامة والأمن، و وجود علاقة إيجابية قوية بين خطر المهاجرين على النظام العام ومؤشر الاستهلاك، بالإضافة إلى إمكانية التنبؤ بغياب السلامة والأمن لتلك الدول من خلال خطورة المهاجرين الغير الشرعيين على النظام العام.

كلمات مفتاحية: خطر الهجرة غير الشرعية، مؤشرات جودة الحياة.

Abstract:

The study aimed to investigate the impact of the risky illegal immigration on a quality of life among five European countries (France, Italy, Spain, UK, and Germany) through the prediction ability of quality of life in the future. Data had been collected from Data Bank about quality of life indexes (safety index, healthcare index, income index and consummation index) for 2013, and public opinion about illegal immigration risk for 2002. The SPSS software was used for determine Spearman's correlation and Multiple Regression analysis. The result had shown the negative relationship between the risky immigration and safety index, and positive relationship between immigration risk and consummation index, in addition there is the impact of risky illegal immigration on a safety of the system.

Key words: risky illegal immigration, quality of life index.

مقدمة:

الهجرة ظاهرة اجتماعية طبيعية للمخلوقات، الإنسان والحيوان لها دور هام في تلاقي المجموعات البشرية، وفطرة للحيوانات البرية والبحرية وللطيور في دورة كونية قدرها الله سبحانه وتعالى للتجديد والتكاثر بين الحيوانات وللتعارف بين الناس والتوسعة في الرزق، أو هروبا للانسان من ويلات الحروب والكوارث الطبيعية بحثا عن الأمن أو طلبا للعلم والمعرفة، فمهما تعددت الأسباب وتنوعت يبقى التنقل واحدا، وأعظم هجرة في التاريخ هي هجرة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة. غير أن هذا المفهوم تحول من ظاهرة طبيعية عادية إلى ظاهرة تهدد الاستقرار والأمن وأصبحت تحديا حقيقيا مطروحا أمام المجموعة الدولية نظرا للمخاطر الناجمة عنها، تماثل في تحديها تحدي الإرهابي الذي يقدم على تفجير نفسه ولا يدرك مدى الأضرار التي يلحقها بالآخرين. و ظاهرة الهجرة السرية باتت عالمية، حيث صنفت في المرتبة الثالثة بعد المتاجرة بالمخدرات والأسلحة، وحسب دراسة لمركز دراسات اللاجئين سنة 2006 أن المهاجرين الذين يعبرون البحر الأبيض المتوسط هم ضحايا الاتجار بالبشر؛ تبين الدراسة بأن الهجرة السرية للدول الأوروبية تسهم في تأجيج مشاعر الكراهية للأجانب. وفي الجزائر تنامت الهجرة غير الشرعية وأصبحت هاجسا وانشغالا وتخوفا من طموح الهجرة وسط شرائح واسعة من الشباب، بل تعدت إلى مجموعات جديدة من الشيوخ والفتيات بل وحتى القصر وشباب من أوساط اجتماعية ميسورة، وتعدى الأمر إلى أن وصل إلى جامعيين وإطارات، والإحصائيات تبين الكم الهائل من محاولات الهجرة على القوارب عبر البحر التي كثيرا ما تتكفل بالنجاح، وكثيرا منها ما تحبطه مصالح الأمن. في حين أن هناك شبكات قائمة بذلك تعمل على ضمان ريب البشر وتنظيم الرحلات، حيث تحولت الهجرة إلى مشروع استثماري يقتضي إيجاد مصادر للتمويل من أجل تحقيقها، وفي بعض الأحيان يتجسد على حساب إزهاق الأرواح بسرقة مصوغاتهم أو حيواناتهم أو أي شيء ذي ثمن، وهذا المشروع يجعل من يفكر فيه يتنقل من وضعية المواطن إلى المهاجر غير الشرعي إلى وضعية المرشح للانتحار أو المنتحر في خدمة طلبات بعض التنظيمات الإجرامية التي غالبا ما تستثمر في الحالات الاجتماعية لتجعل منها منطلقا لمشروع الإجرامية، وفي كل الحالات فالهجرة السرية هي تطرف فكري ورفض للواقع الاجتماعي وتعصب ذاتي وانسحاب من المجموعة وهروب من المواجهة. وفي تقرير لمنظمة الهجرة العالمية يشير أن 192 مليون من سكان العالم يعيشون خارج أوطانهم؛ وتقرير الأمين العام عن الهجرات الدولية والتنمية سنة 2006 يذكر أنه ما بين 19 و 28 مليون مهاجر سري من العدد المذكور أنفا، والعالم الديمغرافي الفرنسي "ألفريد صوني" لخص إشكالية الهجرة بقوله: إما أن ترحل الثروات حيث يوجد البشر وإما أن يرحل البشر حيث توجد الثروات. (دهيمي، 2010).

1. تحديد إشكالية الدراسة:

الميزة الأساسية للهجرة غير الشرعية هي تعقد وتشعب العناصر المكونة لها، مما أدى إلى تعدد القراءات فهي ظاهرة اجتماعية تحولت إلى مسألة أمنية لأنها أصبحت تشكل تهديد أمني لاستقرار الدول من جهة وتهديد أمني للأفراد والمجتمعات، فلاجئ المهاجر غير الشرعي إلى المغامرة بطريقة سرية للوصول إلى الضفة الأخرى يجعله بطريقة غير مباشرة يتورط في جرائم مختلفة كالمتاجرة بالمخدرات والتزوير وغيرها من الجرائم التي يضطر المهاجر السري لممارستها وهذا فقط من أجل البقاء في تلك الدول الأوروبية وعدم إرجاعهم للدولة الأصل وهو ما جعل هذا النوع من الهجرة يزعج الحكومات الأوروبية ويسبب الإحراج للحكومات المغاربية، وفي سياق المعالجة العلمية لهذه الظاهرة وارتباطها بالأمن سيتم طرح الإشكالية التالية:

هل يمكن الجزم بأن الهجرة غير الشرعية أصبحت تشكل خطرا و تهديدا على جودة الحياة للدول الأوروبية؟

2. فرضيات الدراسة:

1. يوجد ارتباط بين خطر الهجرة غير الشرعية و جودة الحياة لبعض الدول الأوروبية.

2. يوجد تأثير لخطر الهجرة غير الشرعية على جودة الحياة لبعض الدول الأوروبية.

3. أهداف الدراسة:

1. التعرف على العلاقة بين خطر الهجرة غير الشرعية وجودة الحياة لبعض الدول الأوروبية.

2. التنبؤ بجودة الحياة من خلال خطر الهجرة غير الشرعية لبعض الدول الأوروبية.

4. التحديد الإجرائية لمفاهيم للبحث:

الهجرة غير الشرعية: وتعد الهجرة السرية أو غير القانونية أو غير الشرعية أو غير النظامية ظاهرة عالمية موجودة في الدول المتقدمة كالولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي أو في الدول النامية بآسيا كدول الخليج ودول المشرق والمغرب العربي، وهي الاتجاه نحو الضفة الشمالية للبحر المتوسط بدون وثائق رسمية عبر قوارب الموت، بتأثيرات مزورة والذهاب للسياحة دون رجعة أو لتحقيق طموحات شخصية أو لاكتشاف العالم الآخر المنمق بالدعاية الإعلامية. وهي الدرجة المتحصل عليها من قياس الرأي العام حول النظام العام للدول الأوروبية 2002. (Diamanti, 2003)

جودة الحياة: حسب منظمة الصحة العالمية فهي ترى أن جودة الحياة مفهوم واسع يتأثر بشكل معقد بكل من الصحة الجسمية للفرد، حالته النفسية، علاقاته الاجتماعية، مستوى تحكمه في ذاته، بالإضافة إلى علاقته مع العوامل الفعالة في بيئته. وهي الدرجة المتحصل عليها من المقياس العامي لمؤشرات جودة الحياة لسنة 2013. (OMS, 2002)

5. إجراءات الدراسة الميدانية:

1.5. منهج الدراسة: المنهج المناسب لطبيعة الدراسة الحالية هو: "المنهج الوصفي الارتباطي" لأنه يوضح العلاقة بين الظواهر المختلفة، والعلاقة في الظاهرة نفسها، أيضا يقدم معلومات وحقائق عن واقع الظاهرة الحالية بغرض الوصول إلى نتائج واضحة.

2.5. عينة الدراسة وكيفية اختيارها:

أجريت الدراسة الاستطلاعية التتبعية على خمس دول أوروبية (فرنسا، إيطاليا إسبانيا بريطانيا وألمانيا) وهذا لتقييم وتقدير خطر الهجرة غير الشرعية على جودة الحياة لتلك الدول.

3.5. أدوات جمع البيانات:

جمعت البيانات من (البنك العالمي للمعلومات والبيانات حول مؤشرات جودة الحياة: مؤشر السلامة و الأمن، مؤشر الرعاية الصحية، نسبة الدخل الفردي، نسبة الاستهلاك) لسنة 2013، بالإضافة إلى استطلاع الرأي العام لسنة 2002 لتلك الدول حول خطورة الهجرة غير شرعية في ثلاث أبعاد رئيسية وهي: خطر الهجرة على الثقافة والهوية، خطر الهجرة على العمل وخطورة الهجرة غير الشرعية على النظام العام. (enquête fondation nord- est, janvier- février 2002, 7000 personnes interrogées)

4.5. الأساليب الإحصائية المستخدمة:

بالاعتماد على برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) تم استخدام أسلوب ارتباط سبيرمان لحساب العلاقة بين خطر الهجرة غير الشرعية و مؤشرات جودة الحياة لمختلف الأسر في العالم ، بالإضافة إلى تحليل الانحدار المتعدد المتدرج (stepwise) للتنبؤ بجودة الحياة من خلال استطلاع الرأي العام حول المهاجرين.

6. عرض النتائج: فيما يلي عرض لنتائج الدراسة

عرض نتائج الفرضية الأولى:

حيث وجدت علاقة ارتباطية بين خطر الهجرة غير الشرعية و كل من مؤشر السلامة والأمن، ومؤشر الاستهلاك. والجدول رقم (1) يلخص نتائج الفرضية الأولى.

جدول رقم 01: الارتباط بين جودة الحياة وخطورة الهجرة الغير شرعية

المتغيرات	خطر الهجرة غير الشرعية على النظام	الدلالة الإحصائية
مؤشر السلامة والأمن	-1,000**	,000
مؤشر الاستهلاك	,900*	,037

عرض نتائج الفرضية الثانية:

يمثل الجدول (02) نتائج تحليل الانحدار المتدرج، حيث وجدت قيمة الارتباط الخطي تساوي 0.99 و هي ذات ارتباط قوي، مما يعني إمكانية التنبؤ بجودة الحياة لتلك الدول من خلال إجابات المواطنين على خطورة الهجرة غير الشرعية.

جدول رقم 02: يمثل الارتباط الخطي من تحليل الانحدار المتدرج

قيمة R	قيمة R ²	الخطأ المعياري	قيمة التباين F	الدلالة الاحصائية
,992	,984	1,63385	187,366	,001

جدول (03) يمثل تحليل التباين لمعادلة الانحدار، حيث قيمة التباين وجدت تساوي 187.36 و هي ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.001 مما يفسر إمكانية تحليل الانحدار والتنبؤ بجودة الحياة.

جدول رقم 03: يمثل تحليل التباين لمعادلة الانحدار

Anova

النموذج	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	التباين	الدلالة الإحصائية
الانحدار	500.167	1	500.167	187.366	.001
الباقى	8.008	3			
المجموع	508.176	4	2.669		

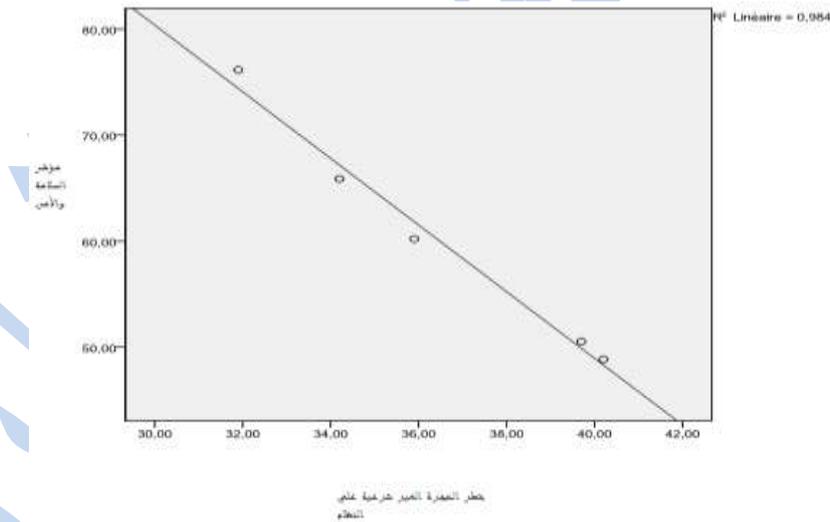
الجدول رقم (04) يمثل الأبعاد المستخرجة في تحليل الانحدار الخطي المتدرج، حيث وجد إمكانية التنبؤ بخطورة الهجرة على النظام على مؤشر السلامة والأمن لجودة الحياة.

جدول رقم 04: يمثل الأبعاد المستخرجة في تحليل الانحدار الخطي المتدرج

الدلالة الإحصائية	قيمة "ت"	Bêta	الخطأ المعياري	A	
000	20.833		8.382	174.630	الثابت
.001	-13.688	-.992	.230	-3.142	خطر الهجرة غير الشرعية على النظام

مؤشر السلامة و الأمن: المتغير التابع. A

الشكل رقم 01: يمثل لوحة الانتشار التي تبين وجود تأثير خطر الهجرة غير الشرعية على مؤشر السلامة والأمن للدول الأوروبية المذكورة.



7. تفسير ومناقشة النتائج:

شهدت ظاهرة الهجرة السرية ارتفاعاً محسوساً في السنوات الأخيرة نتيجة تدهور الظروف الاقتصادية، الاجتماعية والأمنية، فتطور هذه الظاهرة أصبح هاجساً يشغل معظم الدول نظراً للانعكاسات السلبية على المجتمع والتي تتمثل في:

* على المستوى السياسي والأمني: وهذا البعد لا يمكن فصله عن التصور العام لمصادر تهديد الأمن في الغرب والرامي إلى جعل مصدر الأخطار الأمنية آتية من الجنوب وخاصة من العالم الإسلامي، حيث بلغ الأمر إلى حد تجريم الهجرة، فمنذ بداية التسعينات أصبحت الهجرة إلى أوروبا جريمة مثل جرائم تهريب المخدرات والإرهاب الدولي، والمهاجرون خاصة السريين منهم في الدول الأوروبية كإيطاليا وإسبانيا واليونان التي تعد مناطق حدودية بالنسبة للفضاء الأوروبي. الحضور المستمر للمهاجرين يعتبر منبع تهديد، فهو مرتبط دائماً بعصابات التهريب وأشكال مختلفة من الجريمة المنظمة (الاغتصاب، السرقات، القتل، الاعتداءات وترويج المخدرات وتزوير الوثائق...)، هذا ما يشكل إحساساً بالأمن، كما تسهل للمنظمات الإجرامية والعصابات المعادية بالتوغل إلى داخل البلاد أو العكس (إفلات الإرهابيين)، وتنامي

الصراعات القبلية والعقائدية والطائفية بين المهاجرين خاصة الأفارقة منهم. فهؤلاء المهاجرين غير الشرعيين غير مسجلين ولا يحملون هويات إثبات شخصية وقد يرتكبون جرائم، وشريحة منهم مسلمون قد ينتمون إلى جماعات مسلحة تؤمن بالعمل المسلح ضد الدول الأوروبية في عقر دارها. (ناجي، 2005)

ويمكن لظاهرة الهجرة السرية أن تؤدي إلى صراع دبلوماسي بين الدول مثل ما وقع بين المغرب وإسبانيا التي تضغط على المملكة المغربية من أجل تشديد الرقابة على حدودها وتتهمها بالضلوع في تسهيل مهمة المهاجرين غير شرعيين مما أدى إلى صدام سياسي بين المملكتين نتج عنه سحب السفير المغربي بإسبانيا. في حين أن المملكة المغربية استغلّت ورقة الهجرة السرية للضغط على إسبانيا والدول الأوروبية لمساعدتهم اقتصاديا وعدم الاعتراف بالصحراء الغربية. (دهيمي، 2010)

فالهجرة خلقت انشغالا أمنيا آخر وهو "الأمن الثقافي" أو "أمن الهوية" في الدول المستقبلة للمهاجرين، هذا القلق ساهم في تسييس النقاش حول سياسة الهجرة في البلدان الأوروبية، ما دفع بهذه الأخيرة إلى تبني إستراتيجية إعلامية عمومية واسعة (بن عنتر، 2005)

* **على المستوى الاجتماعي:** الإخلال بالتوازن الديمغرافي خاصة في ولايات الجنوب مهددة بذلك مواطني المنطقة، كما أن تعدد الجنسيات (أكثر من 34 جنسية في مناطق معينة كإسبانيا (جزيرة سردينيا) نتج عنه الانتشار الواسع لممارسة الدعارة والمساس بقيم وأخلاق المجتمع، إضافة إلى ظواهر التشرّد والتسول والبناءات القصدية الفوضوية إنشاءً "قيطوهات من الصفيح" خاصة بالمهاجرين السريين. حيث أن ميل المهاجرين المتدفق إذا ما سمح له بالاستمرار يمكن أن يقلب التوازن السكاني، وبالتالي تزايد نسبة هؤلاء المهاجرين في المجتمعات الأوروبية مما يهدد كيان السكان الأصليين على المدى الطويل يؤكد التيار اليميني في أوروبا أن المهاجرين الأفارقة، المغاربة خاصة والمسلمون عموماً، يهددون وحدة الثقافة والهوية الأوروبية خاصة بعد تأكيد استحالة اندماجهم في الثقافة الأوروبية. فالحل هو إعادة المهاجرين إلى أوطانهم، هذا التيار يركز على العامل الثقافي لتغطية توجهه العنصري المعادي للمهاجرين والأجانب فضمن هذا التصور الجديد للأخطار التي تهدد المنظومة الغربية والتي تحولت من الشرق نحو جنوب المتوسط، يأتي المهاجرون في الواجهة لأنهم نقطة التماس بين منظومتين ثقافيتين مختلفتين.

* **على المستوى الاقتصادي:** إن الأعداد الهائلة من المهاجرين السريين المتواجدين في المناطق الحدودية والمدن الكبرى أحدثت اضطرابات في التنمية الاقتصادية، حيث أصبحوا يشكلون يدا عاملة رخيصة تتطور وتنتهي سوق العمل غير الشرعي مما يخلق وضعية اقتصادية صعبة لليد العاملة المحلية وهذا ما ولد مظاهر العنصرية. من جهة أخرى طور المهاجرون طرق الاحتيال والتزوير للوثائق والأوراق المالية وتوزيعها في الأسواق، وانتشار السوق السوداء أثر سلباً على الاقتصاد الوطني، إضافة إلى صعوبة تطبيق البرامج الاقتصادية بصفة فعالة في المناطق التي يقيم بها المهاجرون غير الشرعيين.

فرغم أن المهاجرين غير الشرعيين يساهمون في الغالب في توفير أيد عاملة رخيصة، إلا أن ذلك في حد ذاته قد يشكل خلافاً في سوق العمل، فهذه العمالة الوافدة إلى أوروبا قد تشكل منافساً للأيدي العاملة المحلية، إضافة إلى مشاكل اقتصادية أخرى قد تظهر بسبب عدم القدرة على تقدير أعداد العمالة الوافدة وتأثيرها (ناجي، 2005).

* **على المستوى الصحي:** نقل الأوبئة والأمراض الفتاكة سريعة الانتشار والانتقال كالإيدز، الملاريا، الأنفلونزا... الخ، وتنقل المهاجرين غير الشرعيين أصبح يشكل تهديداً فعلياً للمناطق التي يقيمون فيها، كما أن جموع المهاجرين غيرال مراقبين يشكلون خطر انتقال الأمراض والعدوى وغياب التلقيح وغلاء الأدوية والعلاج وارتفاع تكاليف الرعاية الصحية.

خاتمة:

تلخص مقولة رئيس وزراء إسبانيا "لو كنت مواطناً من دول الجنوب لغامرت أكثر من مرة حتى الوصول إلى أوروبا" هذه الدراسة التي كشفت عن مسألة الهجرة غير الشرعية، التي تثير عدة قضايا ومواضيع تستلزم الدراسة والتحليل العلمي والموضوعي، والتي تتعلق بشأن

تكيف المهاجرين مع الأوضاع الجديدة والتغير في أسلوب الحياة، و القيم والمعايير، والعلاقات الاجتماعية، وكذلك لكون الهجرة غير الشرعية تعتبر من بين التحديات الأمنية المشتركة لدول العالم، بالإضافة إلى اعتبار هذه القضية من بين أهم القضايا المشتركة بين الإتحاد الأوروبي والدول المغاربية خاصة، مما يجعل لهذا الموضوع أولوية في السياسة الخارجية لهذه الدول ومن هذه النقطة يمكن فتح مجال البحث المرتبط بمحاولة معرفة العلاقة الإرتباطية بين الهجرة غير الشرعية وجودة الحياة لهذه الدول وكذا استشراف مستقبلي للبعد الأمني للهجرة غير القانونية في إطار العلاقات الدولية عموما و الأورو-مغاربية على وجه التحديد.

المراجع:

بن عنتر، عبد النور. (2005) البعد المتوسطي للأمن الجزائري: الجزائر، أوروبا والحلف الأطلسي: المكتبة العصرية للطباعة والنشر. الجزائر.
 دهيمي، محمد الاخضر. (2010). دراسة حول الهجرة السرية في الجزائر. ندوة علمية حول: التجارب العربية حول مكافحة الهجرة الغير مشروعة، جامعة نايف للعلوم الأمنية. المملكة العربية السعودية.
 ناجي، عبد النور. (2005). الأبعاد غير العسكرية للأمن في المتوسط: ظاهرة الهجرة غير القانونية في المغرب العربي. جامعة الجزائر.

Diamanti, I. (2003). Un nouveau mur. *Critique internationale*, n° 18, pp. 161-162.

Enquête fondation nord- est, janvier- février 2002, 7000 personnes interrogées.

Organisation Mondiale De La Santé. (7 avril 2002). La sédentarité, une cause majeure de maladies et d'incapacités, *Communiqués de presse*, retiré le 18 juillet 2008.

de ://www.who.int/mediacentre/news/releases/release23/fr/

الملاحق: استطلاع الرأي حول المهاجرين: إلى أي مدى أنت موافق على البيانات التالية؟ (نسبة الذين وافقوا على هذه البيانات %).

المعدل	ألمانيا	بريطانيا	إسبانيا	فرنسا	إيطاليا	
23.9	30.5	25.8	37.4	22.7	27.8	المهاجرون يشكلوا خطرا على ثقافتنا هويتنا و
29.2	27.2	31.0	46.0	41.3	35.8	المهاجرون يشكلوا خطرا على العمل
39.7	40.2	34.2	35.9	31.9	36.2	المهاجرون يشكلوا خطرا على النظام العام و أمن الأشخاص